استراتيجية أميركا ودول النفط اليمينية أمام مأزق القرن الأفريقي وأفغانستان

من جديد يدخل القلق الى البيت الابيض، وتوضع الاستراتيجية الجديدة للامبريالية موضع تساؤل.

والتساؤل هذه المرة ليس من المخططين في واشنطن وحسب، بل من الحلفاء والوكلاء في اكثر من بلد وفي اكثر من قارة.

فبعد سايغون اتجه التفكير الاستراتيجي الاميركي نحو تثبيت النفوذ الاميركي وتوسيعه في البلدان الواقعة الى الغرب من الهند الصينية

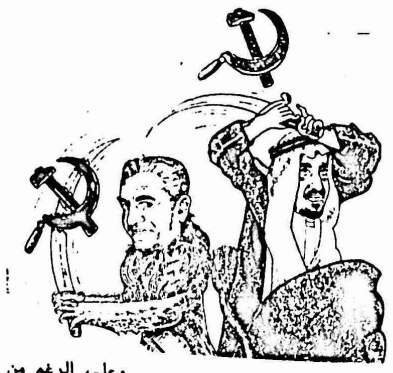

وبدا ان منطقة جنوبي شرق اسيا، رغم وجود القواعد الاميركية، لم تعد منطقة غنائم للاستعمار الاميركي. وان المغنم الوحيد هو الانسحاب الظاهري من تلك المناطق بعد تهيئة انظمتها باجهزة القمع اللازمة لكبح الحركة الشعبية في تلك البلدان.

اما الى الغرب من الهند الصينية فقد كان حظ الولايات المتحدة اوفر. وقد تغير الوضع في شبه القارة الهندية بدولها الثلاث، وفي سيلان ايضا لصالح النفوذ الاميركي. واصبح الطريق ممهدا، كما قيل لواضعي السياسة الاميركية، لاقامة "حزام امني" ضد الاشتراكية، وفي سبيل تعزيز مواقع الراسمالية في تلك البلدان.

واصبحت لحلف المنتو، او مكذا قيل، واجهة اقتصادية ومهمات وصفت بانها تطويرية وليست عسكرية. وتسلم شاه ايران وحكام دول النفط العربية وخاصة السعودية، مهمات مسؤولة ضمن ستراتيجية الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط وحواليها من الشرق والغرب.

وكان التقدير الاميركي قائما على اساس ان القدرة المالية الضخمة لدول النفط المدعمة بالقوة العسكرية الايرانية، قادرة على تمويل مشاريع الاستعمار الجديد في البلدان الافريقية الضعيفة التطور، وحتى في بلدان اخرى كالهند والباكستان وافغانستان.

وبالفعل امتدت العباءة السعودية لتغطي بعض حاجات حكام عدة دول.

نجاحات محدودة

وكان السعوديون على درجة من الثقة بقدرة المال على الاغراء الى حد مغازلتهم لليمن الديمقراطية، واعلامهم عن الاستعداد لتمويل بعض مشاريعها.

وقد نجحوا في الصومال وافغانستان داود وسار سياد بري على النهج الذي اراده السعوديون وحلفاؤهم الكبار والصغار كرأس حربة لاجهاض الثورة الاثيوبية، وزحف الحسن والسادات والنميري مزودين بالريال السعودي الى زئير والى اوغادين.

وظنت الامبريالية الاميركية انها ابتدعت طريقة جديدة للافلات من قبضة توازن القوى الدولي الجديد، وانها تستطيع دون ارسال اي جندي اميركي، ودون استفزاز المشاعر الوطنية في بلدان اسيا وافريقيا، اعادة فرض هيمنة الاستعمار الجديد في عدد من البلدان، وتعزيز تلك الهيمنة في بلدان اخرى.

لكن الامثلة اخذت تتوارد عن قصر نظر اصحاب تلك المخططات. ففي القرن الافريقي صد الهجوم التآمري على النظام الثوري في اثيوبيا، وتأكد تفوق القوى الثورية ، حينما تكون اصيلة وموحدة في الداخل والخارج، على قوى الثورة المضادة.

ورأس المخططون الاميركيون حلفاءهم انفسهم بأن اسيا بخير. وان الطريق، بعد دخول محمد داود في اطار سياسة الاستعمار الجديد بات ممهدا تماما لربط الاحلاف العسكرية الثلاثة ببعضها البعض وتوفير الاتصال البري فيما بينهما.

وكان امرا في غاية الاهمية ان تقام في افغانستان قواعد او على الاقل محطات تجسس ضد الاتحاد السوفياتي. وان تفرض على الاتحاد السوفياتي مسؤوليات دفاعية جديدة على الحدود الافغانية لم يكن بحاجة لها من قبل.

ولهذا كان الانقلاب العسكري في افغانستان مذهلا ومفاجئا لوكلاء الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط قبل الامبريالية نفسها.

فهو من جهة، اثبت ان التمويل النفطي لليمين لا يمكن ان يسد القوى الثورية، او ان يعرقل بقدر محسوس، المسيرة التقدمية.

جيل جديد للثورات

واكثر من ذلك تبين ان القوى الثورية التي تتزعم التغيرات والحركات الجديدة، هي اكثر جذرية ووضوحا، واعمق هدفا. من تلك التي سبقتها في الخمسينات واوائل الستينات.

وهذه القوى اكثر حصانة تجاه مناورات الامبريالية والاستعمار الجديد، واشد حزما في توجهها السياسي والاجتماعي المعادي للامبريالية والراسمالية.

ولهذا التغيير النوعي في طبيعة تركيب القيادات الجديدة للحركات الثورية دلالة عميقة تعكس تغيرا هاما في عدد من البلدان بصورة تجعله اكثر انسجاما مع التوازن الدولي لصالح الاشتراكية، وبالتالي تهيىء له المقومات الاكثر ثباتا للظفر في الصراع الدائر بين القوى الثورية من جهة والامبريالية وعملائها ووكلائها من جهة اخرى.

وهذا التغير في تركيب قيادات الثورة كما هو في انغولا واثيوبيا ومؤخرا افغانستان، بالقياس لقيادات الحركات التحررية قبل عقدين من الزمن، يكشف بجلاء عن ارتفاع مستوى الوعي الطبقي لدى الجماهير في بلدان ما يسمى "بالعالم الثالث" ويؤكد موضوعية التحام المهمات السياسية والاجتماعية في النضال التحرري ويشير الى ان تلك الفئات من البرجوازية الصغيرة والمتوسطة التي كانت تحتل موقعا متميزا في قيادة الحركة الوطنية، لم تعد تحظى بالتاييد الذي كان لها في الخمسينات واوائل الستينات ولم يعد لشعاراتها ذلك الرنين الذي كان لها انذاك.

واذا كان القصور الذاتي لتلك الفئات، بسبب وضعها الطبقي، هو الاساس في عجزها عن مواكبة المطالب الشعبية، فان ارتداد بعض النماذج الاساسية لانظمة هذه الفئات، كما في مصر مثلا، عن خط الكفاح التحرري التقدمي، زاد من قناعة الجماهير الشعبية في الكثير من بلدان "العالم الثالث" بعدم صلاحية البرنامج السياسي لهذه الفئات لتلبية حاجاتها.

تغير في تناسب القوى

وانسجاما مع تلك القناعة المستندة للتجربة العملية، اخذت الاقسام الثورية من البرجوازية الصغيرة تقترب اكثر فاكثر من ايديولوجية الطبقة العاملة، وتلتحم بالحركة الشعبية على هذا الاساس، الامر الذي عزز مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها في الكفاح الوطني، واعطى الحركة الثورية بمجموعها في عدد من البلدان طابع الاصالة الثورية والبعد الاشتراكي العلمي.

وحتى في بعض البلدان التي تسلمت السلطة فيها قيادات برجوازية صغيرة ذات توجه ديموقراطي ثوري، مثل تانزانيا، تهاوت مقولة الاشتراكية التانزانية امام تجربة الواقع. واهطرت تلك القيادات لمواجهة الخيار بين الارتداد، كما فعل السادات، او السير قدما باتجاه الاشتراكية العلمية في النظرية والتطبيق.

ولعلها من علامات العصر الجديد ان لا يستطيع صاحب نظرية "الاشتراكية الافغانية" البقاء في الحكم رغم كل بهلوانياته الديماغوجية سوى خمس سنوات.

وليس من الصدف ان يكون السادات، بعد مرور اقل من خمس سنوات على حرب اكتوبر، في اشد حالات العزلة، بشهادة اصدقائه انفسهم.

وعلى الرغم من ان الطبقة العاملة في افغانستان مثلا ضعيفة جدا بسبب ضعف التطور الاقتصادي. والحال كذلك في اثيوبيا، فان نجاحات البلدان الاشتراكية تشكل عاملا تعبويا في تلك البلدان وفي غيرها من اجل الاشتراكية.

ولكن من المهم كذلك الاشارة الى ان اخفاق مختلف نظريات وممارسات البرجوازية، تحت اسماء اشتراكية قومية، قد لعب الاخر دورا في تعبئة الجماهير ضد تلك النظريات والممارسات، وشحن تلك الجماهير بالثقة بأن السبيل الوحيد لتفلصها من السيطرة الاجنبية والتخلف هو في تاييد القوى التي تتبنى الاشتراكية العلمية والكفاح تحت قيادتها لبناء مجتمعاتها الجديدة هذه الحقيقة يؤكدها واقع ان جميع الثورات المنتصرة في السبعينات كانت بقيادة حركات ماركسية.

هذا الواقع بالذات هو ما يثير هلع الشاه والملك خالد، وكارتر من ورائهما. وليس فقط لان انتصار تلك الثورات بقيادات ماركسية يحدث تغييرا في توازن القوى في غير مصلحة الامبريالية والرجعة . وانما لانه يقضي جذريا على فرص الاستغلال والنهب الامبريالي، ويشكل حافزا حيا لشعوب اخرى على الاقتداء بتلك الثورات نهجا وممارسة واهدافا.

الجماهير لا تقبل الرشوة

وقد كشفت الفصالات الشعبية، مؤخرا، في ايران عن سذاجة الاعتقاد القائل بأن ثراء الطبقة الحاكمة يعطيها القوة لمواجهة الجماهير، انه قد يعطيها القوة العسكرية، ولكنه في الوقت ذاته، وبسبب حاجتها لزيادة قوتها العسكرية (الجيش مثلا) يدخل تلك القوة اكثر فاكثر في دائرة الصراع الطبقي.

وهو ايضا، اي الثراء، يزيد من نقمة الجماهير على الطبقة الحاكمة، بسبب وضوح الهوة بين ما تنفقه تلك الطبقة على مطالب الجماهير وما تحصل عليه من ثروة هي في الاساس ملك لتلك الجماهير.

ولهذا فان احداث افغانستان، بعد فشل مغامرة التدخل ضد اثيوبيا، كشفت عن الخطر حتى على مواقع وكلاء الامبريالية انفسهم مثل حكام السعودية وايران. وبينت ان الثلاثة الاف مليون دولار التي اعلن محمد داود قبل سقوطه بفترة وجيزة عن رصدها للتطوير، والتي من المقرر ان يدفع حكام دول اكثر من نصفها، لم تنقذ الاستعمار الجديد في افغانستان من المصير المحتوم.

لقد قيل الاميركية، وبعد حرب اكتوبر، ببروز القوة المالية اليمينية العربية، ان باستخدام تلك القوة المالية التأثير على سياسات بعض العربية، وفي تمويل المكتسبات الاجتماعية لحركة التحرر العربية التمكين للنفوذ الامبريالي والتطور الراسمالي في العربية.

وقد حققت هذه السياسة نجاحا ملحوظا في مصر وما زالت تمارست تاثيرا متفاوت في بلدان اخرى. ولكنها فشلا ذريعا في جمهورية الديموقراطية. وذلك بسبب طبيعة السلطة الثورية في الجمهورية.

من الهجوم الى الدفاع

والان في ظل الواقع الذي تعيشه حركة التحرر والمجرى العميق الذي والايديولوجية الثورية تتبناها قيادات الثورات حديثا، ماذا يمكن لانظمة مثل السعودية وايران ان

ان هذا الواقع الجديد يبشر بالاستمرار، يرد عليها الانظمة من مواقع الهجوم الى الدفاع، وينقلها من موقع "بفعل الخير" الى موقع الخائف على مركزه ونظامه.

ولم يكن الشاه او خالد، مبالغا في اظهار والقلق من سقوط داود. هذا السقوط ان دور النفطيين لا يركن اليه في الاستراتيجية العامة للامبريا وان مصدر قوتهما، وهو يبهر عيون قيادات الجديدة.

وبالمقابل اظهر ذلك في كابول مثلما اظهره اوغادين، ومثلما كان ومثلما يلوح الان في زيمبا ونامبيا، ان قيادة نفسها تتخبط في العجز اعترف به الملك خالد لام الولايات المتحدة، تستطع ان تفعل شيئا افغانستان وقبلها في

واكثر من ذلك فان السياسي الجديد والجغرافي لافغانستان حد ذاته مخاوف باكستان وايران ولحلفائهم

فالمعروف ان نسبة من القومية البلوشية باكستان. وهي منذ القدم برواابط قومية مع افغانستان. ومعروف نسبكة كبيرة من يشتركون في اللغة مع

ولهذا فان حكام يفترضون ان تمارس التقدمية في افغانستان مباشرا على الاوساط البلدين الجارين. ويقدرون الاصلاحات ستمد الحركة في بلادهم بزخم جديد. حق في ذلك. وشعوبهم حق في ان تعتبر افغانستان لمصلحتها.

بشير البرغوثي

الطليعة
جريدة أسبوعية سياسية مصورة
صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
الياس نصر الله
رئيس التحرير
بشير البرغوثي
التحرير والادارة
القدس - شارع الرشيد
تليفون ٢٨٢٨٧٩ ص.ب ١٤٣٧٤
الاعلانات
تراجع بشأنها الادارة
مطبعة صلاح الدين
الاشتراكات
١٥٠ ليرة سوريا للطلاب